اللسانيات النصية

مثلت اللسانيات حين تأسيسها على يد فرديناند دي سوسير قطيعة ابيستمولوجية في تناول الظاهرة اللغوية ، رغم أن الدرس اللغوي ضارب في العراقة لدى شتى الأمم ، ومنها الأمة العربية ، فالقطيعة التي أحدثها لم تكن على مستوى الموضوع ولكن على مستوى المنهج .

ومنذ ذلك الحين واللسانيات تعرف تطورا مطردا ، فتأسست فروع علمية مختلفة استقلت علوما قائمة بذاتها واتسعت مستخلصاتها ومناهجها الموضوعية وأجهزتها المفاهيمية ، وتحولت إلى علم رائد دقيق تستجلب منه العلوم الإنسانية الأخرى مفاهيمها ومصطلحاتها ،وتتوسل بإجراءاتها وبناها ومناهجها السبيل إلى العلموية والموضوعية ، حتى أضحت بالنسبة إلى هذه العلوم الإنسانية نظير علم الرياضيات بالنسبة إلى العلوم التجريبية ،ورغم ثرائها المتعاظم وغنى رؤاها إلا أنها بقيت حبيسة الحدود الضيقة للجملة ،إلا أنها ستعرف في أواخر الستينات تحولا يشبه ذلك الذي أحدثه دي سوسير، بنشأة اللسانيات النصية الذي ستمتد بالتدريج حتى تتحول إلى مد عاصف ثري ببنى الوصف والنظريات والمنهجيات والمقولات ، تقارب ظواهر النص في مقامات التواصل والتفاعل المختلفة .

1/عوامل ميلاد المقاربة النصية :

اللسانيات النصية فرع معرفي جديد تكون بالتدريج في النصف الثاني من الستينات والنصف الأول من السبعينات وقد مثل قطيعة ابستمولوجية ونظرية في الفكر اللساني ، وبعد ذلك الوقت بدأ مدًا زاحفا في حقول اللغويات والمعارف المتاخمة

إن تحليل الخطاب يطمح أساسا إلى تقديم تأويلات للخطابات ، ولا يمكن تأويل خطاب من خلال تأويل اعتباطي مفرد لسلسة جمل (أي أن الخطاب ليس تركيبا اعتباطيا للجمل)، فالوقوف عند حدود تأويل جملة ثم المرور إلى الأخرى لا يقدم تأويلا مقبولا للخطاب ، في النهاية لا يمكن أن تقبل هذه المعادلة التحليلية :

تأويل خطاب هو عبارة عن سلسلة من الجمل = سلسلة تأويلات هذه الجمل

1/ أن المضمون الخبري لجملة لا يقدم تأويلا دائما لكل عناصرها مثل :

علي شرب الكثير من النبيذ 1

إنـــه ثمل 2

في هذا المثال لدينا جملتان 1 و 2 ، الجملة الثانية تشتمل على ضمير الغائب (الهاء) وهو غير قابل للتأويل داخل هذه الجملة ، بل تأويله موجود في الجملة السابقة (1) .فلو كانت هاتان الجملتان في خطاب لتعذر تأويل العنصر (الهاء) داخل الجملة،وأمكن تأويله داخل الخطاب ، وهذا ما يجعلنا نستنتج أن هناك عناصر لسانية يتعذر أن تؤول في مستوى الجملة ، لكنها تؤول في مستوى الخطاب .

2/ يظهر أيضا هذا الاعتراض بوضوح أكثر إذا تجاوزنا الخطاب في مستوى عناصره الجزئية إلى خطابات أشمل ، مثل قراءة أو تأويل رواية ، إذ يستحيل تأويل مجموع الخطاب من خلال تأويل متتابع للجمل التي يتشكل منها ، ويمكن أن نضرب مثالا من رواية لفلوبير (l’ éducation sentimentale) ، فتأويلها لا يمكن أن يتحدد من خلال تأويل جملها، ومن إشكاليات هذا التأويل المختزل ما يعترضنا من الالتباس بين الجمل التي تمثل خواطر شخصية من الشخصيات ، والجمل التي يسردها السارد(الراوي) أو الكاتب أي الجمل التي هي عنصر سردي يمثل خطاب الرواية ويمكن التوضيح بجمل متتابعة من هذه الرواية :

www.elbassair.com

– بدا فريدريك سعيدا .(1) كانت السيدة آرنو لدى والدتها في كارتر .(2) لكنه سيجدها قريبا وينتهي بأن يكون حبيبها. (3).

فالجملة الثالثة ملتبسة بين أن تكون عنصرا سرديا يمثل خطاب الرواية (أي جزءا من خطاب السارد) وهو تأكيد على أن فريدريك سيلتقي قريبا بمدام أرنو وسينتهي الأمر بأن يكون حبيبها ، أو أن هذا هو خاطر فريدريك نفسه وفكره في أنه سيلتقيها ولا بد أن ينتهي الأمر بأن يحقق هدفه ، وحين نقرأ مجموع الرواية نكتشف أن التأويل الثاني هو الصحيح .

وهكذا نستخلص أن :

تأويل مجموع جمل تشكل خطابا ≠ مجموع تأويلات هذه الجمـل .

كما أننا ببساطة حين نطلب من شخص شرح كلام لشخص آخر فإن شرحه لا يأخذ شكل تأويل جمله المتتابعة بل يشرح خطابه .

هذان السببان جعل اللسانيين يسلمون بوجود وحدة لسانية أعلى من الجملة هي النص أو الخطاب .

- الفونيم وحدة فونولوجية.
- المورفوم وحدة مورفولوجية
- الجملة وحدة نحوية (تركيبية)
- النص وحدة لتحليل الخطاب أو اللسانيات النصية.

و بما أن النص وحدة فينبغي أن يمتلك بنية داخلية ، وهذا ما اقتضى:

– الفرضية البنيوية(أي أن له بنية داخلية).

– الفرضية النحوية (أي أنه مثل الجملة والكلمة ،يمتثل لقواعد التركيب وكما أن هناك ملكة خاصة للتحكم في التركيب ، فهناك ملكة خطابية أو نصية خاصة بالتحكم في نحو النص)

إذن هناك مقارباتان ظهرتا مترابطتين ،هما المقاربة البنيوية والمقاربة النحوية إلا أن تحليل الخطاب تطور في اتجاه نحو النص من أجل اكتشاف مبادئ تشكيل الخطابات.

المقاربة النصية في البداية وفي النهاية تريد أن تهشم الانعزال اللساني أي أنه من الحري أن لا نقول أن الكل موجود في الجملة ، بله أن الكل موجود في الخطاب أوالنص.

أهداف اللسانيات النصية :

إنه يمكن أن نقول أن كل علم من علوم اللسان لابد أن يكون منذ البداية وفي جوهره علم لغة نصي لأنه بطريقة غير مباشرة على الأقل يعتمد على نصوص، وندرك أن توسيع مجال اللسانيات لتشمل النصوص وتوظيفها في الاتصال لا يشكك مطلقا في أهمية الوحدات اللغوية المعزولة .

واللسانيات النصية لا تدرس أبنية النص فقط بل تدرس أيضا صفات التوظيف الاتصالي للنصوص .

- اللسان لا ينخلق إلا داخل الخطاب ، أي أن الخطاب لغة دخلت مجال التداول والحركة ، فاللسان لا يربط بين مفاهيم معزولة ، أما الخطاب فهو الذي يعالق بين هذه المفاهيم ويربط بينها .

لا وجود للجملة في الاستعمال الواقعي للغة ، حيث هناك سياق تلفظ يحيط الجملة والجمل ، بل إن عزل جملة في الحقيقة هو إجراء خاص يتم داخل الخطاب.

www.elbassair.com

النص كل وليس مجرد تجميع للجمل أو الإسنادات ، فمعنى النص يتحدد من خلال مكوناته لكنه لا يتوقف هنا، فكل جملة من النص تحيل عليه كما تحيل على معناها العميق .

مفاهيم أساسية في اللسانيات النصية

النص والنصية والاتساق والانسجام :

إن المنظورات الأساسية التي تبحث في مفهوم أساسي هو انسجام الخطاب/ النص هي :

لسانيات وصفية : هاليداي ورقيه حسن

لسانيات الخطاب : فان ديك

تحليل الخطاب : براون ويول

ويمكن أن نكتشف من خلال عملية تأليف ، المختلف والمشترك من هذه المنظورات :

1/ المشترك :

1/ أنها تقارب الانسجام من خلال نصوص وخطابات تتجاوز حدود الجملة .

2/ أن سمات النصوص المقاربة إما مصوغة أو مقتطعة من اللغة المستعملة .

3/ أن هذه المقاربة تتركز على نوعين من النصوص : تخاطبية وسردية وتنحي الشعر جانبا .

4/ أنها تنطلق من نصوص بسيطة تبني نماذج وصفية أو تفسيرية غنية .

2/ المختلف :

1/ يهدف المنظور الأول الذي يمثله هاليداي ورقيه حسن إلى الإجابة عن سؤال : ما هي الخصائص التي تجعل من معطى لغوي نصا أي ما هو الفرق بين النص واللانص ؟ وقد ظهر أن الاتساق هو الخاصية الحاسمة التي تميز بين ما هو نص وبين ما ليس نصا.

2/ يهدف فان ديك إلى تأسيس لسانيات للخطاب تتجاوز أنحاء الجملة لبناء نحو للنص يهتم بالمستويين الدلالي والتداولي مما يمكن من تفسير بنيات نصية مثل موضوع النص (البنية الكلية).

ونلاحظ أن مقاربة فان ديك وهاليداي ورقية حسن مقاربة تتعامل مع النص كإنتاج وترى الانسجام في ذاته , أما مقاربة براون ويول فإنها مقاربة تتعامل مع النص كعملية وترى انسجام النص متوقف على المتلقي .

يعلن الكاتبان هاليداي ورقية حسن في كتابهما الشهير (الاتساق في الانجليزية ،1975) عن اندراج بحثهما في إطار اللسانيات الوصفية ويعلنان عن مناقشة أشياء يعرفها متكلم اللغة الناشئ مسبقا لكن دون أن يعلم أنه يعرفها ، وهذا البحث في اتساق النص أي تماسكه ، يهتم أيضا بالخصائص التي تجعل من عينة لغوية نصا ، فهما حين يبحثان وسائل الاتساق يبحثان في الوقت نفسه عما يميز النص مما ليس نصا .

يضع الباحثان ثنائية بين الكل الموحد وبين الجمل غير المترابطة ،الشق الأول من الثنائية هو وصف للنص ، والشق الثاني وصف للانص .

أما المحك المعتمد في التمييز بين الاثنين فهو متكلم اللغة ، ذلك أنه يمكنه الحكم على مقطع لغوي سمعه بأحد أمرين : إما أنه يشكل كلا موحدا، وإما أنه مجرد جمل غير مترابطة ، ونستنتج من خلال هذا أن الاتساق محدد ضروري للتعرف على ما هو نص وما ليس نصا ، ولكي يشكل مقطع لغوي كلا موحدا يجب أن تتوافر فيه خصائص معينة تعتبر سمة في النصوص ولا توجد في غيرها.

www.elbassair.com

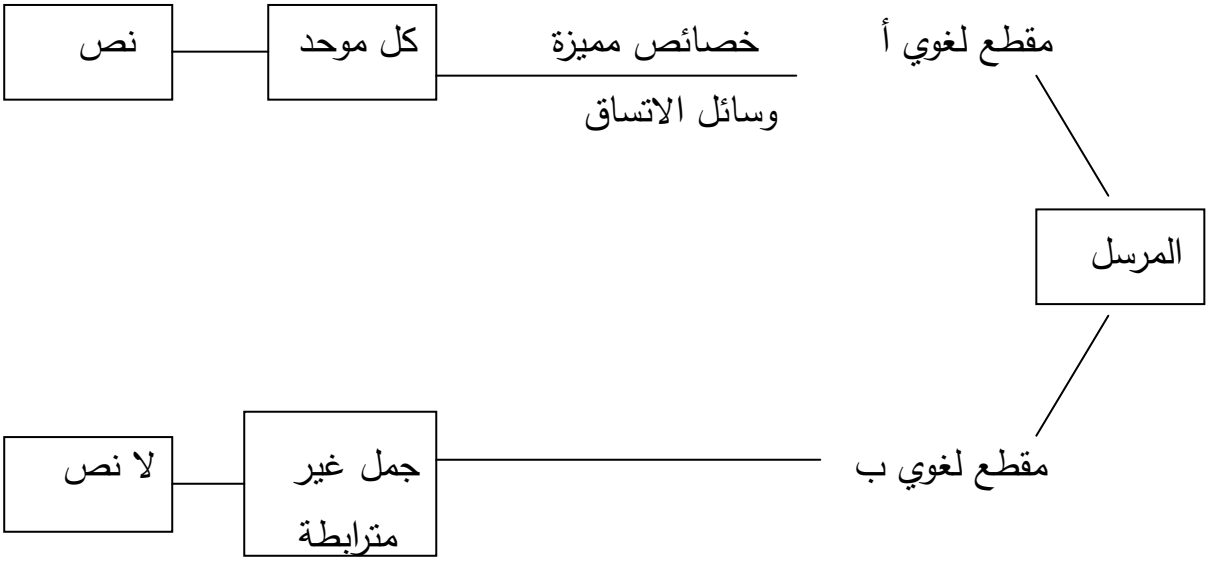

النص والنصية والاتساق

تشكل كل متتالية من الجمل نصا شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات ،تتم هذه العلاقات بين عنصر وآخر وارد في جملة سابقة أو جملة لاحقة أو بين عنصر وبين متتالية برمتها سابقة أو لاحقة ، يسمى الباحثان تعلق عنصر بما سبقه علاقة قبلية وتعلقه بما بعده علاقة بعدية :

س ← ص = علاقة قبلية

س → ص = علاقة بعدية .

وهذا لا يعنى أن النص مجموعة من الجمل ، فهو يمكن أن يكون منطوقا أو مكتوبا نثرا أو شعرا ، حوارا أو مونولوجا ، يمكن أن يكون أي شيء ، من مثل واحد حتى مسرحية بأكملها ، من نداء استغاثة حتى مجموع المناقشة الحاصلة طوال يوم ، في لقاء هيئة ، وإذا كان النص يتكون من جمل فإنه يختلف عنها نوعيا فالنص وحدة دلالية ، وليست الجمل إلا الوسيلة التي يتحقق بها النص ، والنص يتوفر على خاصية كونه نصا، يمكن أن يطلق عليها النصية ، وهو ما يميزه عما ليس نصا ، ولكي يكون نص نصا ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النصية بحيث تساهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة ويضرب الباحثان مثال :

(اغسل وانزع نوى ست تفاحات ، ضعها في صحن يقاوم النار).

إن ضمير *ها * العائد على ست تفاحات هو الذي هيأ النصية من خلال الاتساق الذي تم بفضل الإحالة وفي المثال التالي :

(اغسل وانزع نوى ست تفاحات ، ضع التفاحات في صحن يقاوم النار).

تمت النصية بتكرار عنصر التفاح .

يذهب الباحثان إلى أن المتلقي حين يحدد بوعي أو بدون وعي وضعية عينة لغوية يستدعي بنيتين: داخلية وخارجية ، البنية الداخلية هي الوسائل اللغوية التي تربط أواصر مقطع ما ، وتكمن الخارجية في مراعاة المقام.

الاتساق :

إن مفهوم الاتساق مفهوم دلالي يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص ، والتي تحدده كنص ، ويمكن أن تسمى هذه العلاقة تبعية خاصة حين يستحيل تأويل عنصر دون الاعتماد على العنصر الذي يحيل إليه ، أي أن كلا منهما

www.elbassair.com

يفترض الآخر مسبقا ،حين ذاك تتأسس علاقة اتساق ، والاتساق لا يتم في المستوى الدلالي فحسب،وإنما يتم أيضا في مستويات أخرى كالنحو والمعجم .

أدوات الاتساق :

1/ الإحالة : أي أن عناصر في النص لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل ،فلا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها ، وتتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تمتلك خاصية الإحالة ، وهي حسب الباحثين : الضمائر / أسماء الإشارة / أدوات المقارنة ، وتنقسم الإحالة إلى نوعين :

مقامية ونصية والنوع الثاني ينقسم إلى إحالة قبلية وبعدية .

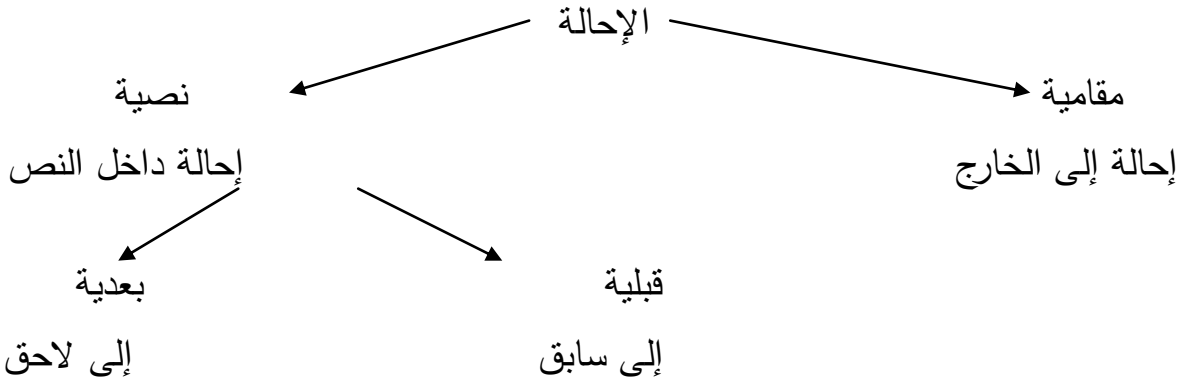

وسائل الاتساق الإحالية هي : (الضمائر – أسماء الإشارة – أدوات المقارنة) .

1/ الضمائر تقسم إلى:– وجودية (أنا / أنت / نحن / هو / هم / هن .....

– ملكية : كتابي / كتابك / كتابهم .....

2) أسماء الإشارة : و يمكن تصنيفها حسب المكان و الزمان (الآن ، غدا) ، (هنا ، هناك) أو حسب القرب أو البعد ، وهي تحيل مثل الضمائر إحالة قبلية ، ومن ثم تساهم في اتساق النص و يمكن أن تحيل إلي عنصر سابق أو جملة بأكملها أو متتالية من الجمل .

3) المقارنة : و تنقسم إلي عامة منها التطابق و التشابه و الاختلاف و إلى خاصة (كمية، كيفية) و هي تقوم أيضا بوظيفة اتساقية .

2/ الاستبدال :

عملية تتم داخل النص ، وهي تعويض عنصر في النص بعنصر آخر و يعد الاستبدال شأنه في ذلك شأن الإحالة ، علاقة اتساق ، إلا أنه يختلف عنها في كونه علاقة تتم في المستوى النحوي المعجمي بين كلمات و عبارات ،بينما الإحالة علاقة معنوية تقع في المستوي الدلالي ، و يعتبر الاستبدال عملية داخل النص .

3/ الحذف :

يحدد الباحثان الحذف على أنه :علاقة داخل النص ، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق وهذا يعني أن الحذف عادة علاقة قبلية) ، وهذا الفراغ البنيوي يهتدي القارئ إلى ملئه اعتمادا على ما ورد في الجملة الأولى أو النص السابق ، ومثال ذلك .

يقرأ جون قصيدة و وكاترين قصة .

4/ الاتساق المعجمي:

www.elbassair.com

ينقسم الاتساق المعجمي في نظر الباحثين إلى نوعين :

1/ التكرار.

2/ التضام.

والتكرار هو شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف أو شبه مرادف أو عنصرا مطلقا أو اسما عاما .

التضام : وهو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك ، مثال ذلك:

(ما لهذا الولد يتلوى في كل وقت وحين ؟ البنات لا تتلوى)

و (الولد والبنت) ليسا مترادفين ، ومع ذلك فإن ورودهما في خطاب ما يساهم في النصية والعلاقة النصية التي تحكم هذه الأزواج في خطاب ما هي علاقة التعارض ، مثل : جلس / وقف ، أحب / كره .....إضافة إلى علاقات الكل / الجزء أو عناصر من نفس القسم العام : كرسي / طاولة (وهما عنصران من اسم عام هو التجهيز .....)

والمتلقي يخلق سياقا تترابط فيه العناصر المعجمية معتمدا على حدسه اللغوي وعلى معرفته بمعاني الكلمات وغير ذلك .

هذا بإجمال ما يراه الباحثان هاليداي ورقية حسن من وسائل اتساق موجودة في النص ، إلا أن الباحثين لا يهتمان بدور المتلقي في صنع اتساق النص .

ترتيب الخطاب :

ذكر فان ديك فيما يتعلق بترتيب الوقائع وترتيب المتتالية العلاقات التي تحكم هذا الترتيب ،وهي علاقات تخضع لمبادئ معرفية كالإدراك والاهتمام , وقد حصرها فيما يلي

* العام . الخاص .

الكل . الجزء .

المجموعة . المجموعة الفرعية . العنصر.

المتضمن . المتضمن .

الكبير . الصغير .

الخارج . الداخل .

المالك . المملوك .

ويذهب فان ديك إلى أننا نرى عادة مجموع الشيء قبل أجزائه، كما أننا نرى شيئا كبيرا قبل أن نرى شيئا أصغر منه ، إلا أن الترتيب الخاضع بدوره لهذه العلاقات يمكن أن يحدث فيه تغيير ما ، إذ يمكن أن يفسر شيء خاص بشيء عام ...

كما يمكن أن يتقدم المملوك على المالك أو الجزء على الكل ..الخ ، ويتم ذلك لأغراض ومقاصد يهدف المتكلم / الكاتب إلى تحقيقها ....

ويتضح أن الترتيب يقوم بدور أساسي في انسجام الخطاب وكلما حدث تغيير في الترتيب دون أن يحقق أغراضا معينة ، محددة سلفا ، كان الخطاب غير منسجم (من حيث إغفاله للعلاقات السالفة الذكر ، أي العام . الخاص ....)

يرى بعض الباحثين أن انسجام الخطاب ليس شيئا معطى ، وإنما هو في نظرهما شئ يبنى ، أي أنه ليس هناك نص منسجم في ذاته ونص غير منسجم في ذاته باستقلال عن المتلقي ، بل إن المتلقي هو الذي يحكم على نص ما بأنه منسجم وعلى أخر بأنه غير منسجم ، وبانجلاء هذه المسألة فحسب يمكننا فهم تركيزهما على انسجام التأويل وليس

www.elbassair.com
على انسجام الخطاب ، أي أن الخطاب يستمد انسجامه من فهم وتأويل المتلقي ليس غير ، وللبرهنة على هذا الرأي يقدمان نصوصا تفتقر إلى الروابط الشكلية ، ومع ذلك يستطيع القارئ فهمها وتأويلها ، أي اعتبارها نصوصا منسجمة رغم تفككها .

ومعنى ذلك أن الخطاب قد لا يملك مقومات انسجامه وإنما القارئ هو الذي يسند إليه هذه المقومات ، وإن كل نص قابل للفهم والتأويل فهو نص منسجم ، والعكس صحيح .

مبادىء الانسجام :

1/ السياق وخصائصه : محلل الخطاب ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي يظهر فيه الخطاب (والسياق لديهما يتشكل من المتكلم / الكاتب والمستمع / القارئ ، والزمان والمكان) ، لأنه يؤدي دورا فعالا في تأويل الخطاب ، بل كثيرا ما يؤدي ظهور قول واحد في سياقين مختلفين إلى تأويليين مختلفين.

2/ مبدأ التأويل المحلي :

يرتبط هذا المبدأ بما يمكن أن يعتبر تقييدا للطاقة التأويلية لدى المتلقي باعتماده على خصائص السياق , كما أنه مبدأ متعلق أيضا بكيفية تحديد الفترة الزمنية في تأويل مؤشر زمني مثل (الآن) أو المظاهر الملائمة لشخص محال إليه بالاسم (محمد) مثلا

3/ مبدأ التشابه :

تظهر أهمية التجربة السابقة التي يراكم بها الإنسان عادات تحليلية وفهمية وعمليات متعددة لمواجهة النصوص، كما الفهم والتأويل في ضوء التجربة السابقة أي النظر إلى الخطاب الحالي في علاقة مع خطابات سابقة تشبهه .

من هذا المنطلق يظهر مبدأ التشابه كأحد الاستكشافات الأساسية التي يتبناها المستمعون والمحللون في تحديد التأويلات في السياق .

4/التغريض : ما يبدأ به المتكلم أو الكاتب سيؤثر في تأويل ما يليه , وهكذا فإن عنوانا ما سيؤثر في تأويل النص الذي يليه كما أن الجملة الأولى من الفقرة الأولى لن تفيد فقط تأويل الفقرة وإنما بقية النص أيضا , بمعنى أننا (نفترض أن كل جملة تشكل جزءا من توجيه متدرج متراكم يخبرنا عن كيفية إنشاء تمثيل منسجم) ويستعمل باحث أخر مفهوما أعم وهو مفهوم البناء الذي يحدده قريماس على النحو التالي : (كل قول , كل جملة , كل فقرة , كل حلقة , وكل خطاب منظم حول عنصر خاص يتخذ كنقطة بداية) وفي اعتقادنا أن مفهومي التغريض والبناء يتعلقان بالارتباط الوثيق بين ما يدور في الخطاب وأجزائه وبين عنوان الخطاب أو نقطة بدايته , مع اختلاف فيما يعتبر نقطة بداية حسب تنوع الخطابات .

مقاربة النص في التراث العربي

في الفكر اللساني العربي منحى يعالج الظاهرة اللغوية في حدود الجملة وهو فكر غني ومكتنز وقادر على إخصاب الفكر اللساني العام ، كما في قطاعات معرفية متاخمة اقتراب من الظاهرة النصية ومقاربتها بمفاهيم وأدوات معرفية ثرية تشبه وتقاطع المفاهيم والأدوات الغربية أو تستقل عنها ،ويشير اللساني المغربي أحمد المتوكل بأن النشاط اللغوي العربي القديم ينقسم إلى لسانيات الجملة ولسانيات الخطاب (البلاغة، التفسير ، أصول الفقه)،أي أن هذه المعارف الأخيرة تتخذ موضوع دراستها وحدة لغوية أكبر من الجملة رغم تفاوتها في استحضار مقتضيات التواصل أثناء مواجهة الخطاب .

في علم البلاغة إشارات مهمة إلى ما يحكم بناء النص ونظمه واتساقه ، من مفاهيم وأدوات تندرج في المستوى المعجمي والدلالي والتداولي .

www.elbassair.com

وفي النقد الأدبي إشارات مهمة إلى مفاهيم شديدة الارتباط بالانسجام مثل التآخذ والاتساق ،وأخذ بعض الأبيات بأعناق بعض ، والتحام الأجزاء والتئامها، ونظرات ثاقبة لدى حازم القارطجني عن تماسك النص الشعري.

وفي التفسير وعلوم القرآن بحث وتقص عن أسرار اتساق النص القرآني وانسجامه ، فرضته رغبة البحث عن الوحدة المنسجمة في النص القرآني رغم نزول منجما ، وخصوصا ما يتعلق بمبحث المناسبة الذي استقل في الفكر العربي علما مستقلا.

1/مقاربة النص في علم البلاغة:

في السعي نحو اكتشاف المظاهر الخطابية الموظفة من أجل الرقي بالخطاب إلى مستوى تعبيري قادر على شد انتباه المتلقي والتأثير فيه ، واستغلال سمات جمالية تضفي على الخطاب سمات الجمال أي الإمتاع ، برز وعي حاد لدى البلاغيين القدامى بظواهر نصية تتعلق خصوصا بانسجام الخطاب وتماسكه و تآخذه وارتباط أجزائه بعضها ببعض ويمكن تصنيف الآليات التي استخدمها البلاغيون كالتالي :

1)المستوى المعجمي

أ– المطابقة

ب– التكرير

– رد العجز على الصدر

– البناء

– المناسبة

2)المستوى الدلالي :

– مبدأ الاشتراك

– معنى الجمع ,الشريك ,النظير

– التضام العقلي

– الجامع العقلي

– الجامع الوهمي

– التمثيل

– التأكيد ,الإيضاح ,نقصان المعنى

– صيغة الخطاب

3) المستوى التداولي :

– تقدير السؤال

– التضام النفسي

–الجامع الخيالي

–اختلاف الأفعال الكلامية وتدخل المقام لرفع الاختلاف .

1) **الفصل والوصل** : لعل أقدم إشارة إلى أهمية الفصل والوصل في الخطاب ما ورد في كتاب البيان والتبيين أثناء سرد الجاحظ لتعريفات البلاغة ،جاء في التعريف انه ((قيل للفارسي ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل من الوصل)).

www.elbassair.com

ويقول الجرجاني عن هذا المبحث : ((ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول إنه فيه خفي غامض ودقيق صعب إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدق وأصعب ...))

2/مقاربة النص في التراث النقدي :

مما يفجئ الناظر في القراءات النقدية للنص الشعري في التراث النقدي العربي وعي حاد يكاد يؤسس أحيانا لنظرية نصية , وهو أيضا وعي يقوض ما ساد من تصورات حول التجزؤ في النص الشعري العربي نظرية وممارسة ,صحيح أنها نظرات جزئية وانطباعية أحيانا ,لكنها تمارس إجراءات نقدية تتفحص النص في أجزائه ومقاطعه وكليته، وتتوسل مفاهيم لسانية تظهر اطراد ظهور مدلول الاتساق والعلائق النصية وسنذكرهنا بعض النصوص النقدية التي تمثل لهذا الوعي .

1)الجاحظ: التحام الأجزاء صوتيا وموسيقيا

"وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء ، سهل المخارج فنعلم بذلك أنه أفرغ إفراغا واحدا فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان "

فالجاحظ ينص على معيار محدد لجودة الشعر هو "تلاحم الأجزاء " وهو إذا تأملنا سياق النص تلاحم يعني به الانسجام الصوتي والموسيقي وهو ما يظهره قوله ((وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر تراها متفقة ملساء لينة المعاطف سهلة وتراها متباينة ومتنافرة مستكرهة تشق على اللسان وتكده ,والأخرى تراها لينة خفيفة على اللسان حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد)).

ابن طباطبا : ضرورة الاتساق والانتظام :

يجعل ابن طباطبا في معيار الشعر "التماسك "في النص الشعري قاعدة ومعيارا لحسن الشعر وتقبله ,يقول "إن للشعر فصولا كفصول الرسائل فيحتاج الشاعر إلى أن يصل كلامه ,على تصرفه في فنونه ,صلة لطيفة ,فيتخلص من الغزل إلى المديح ومن المديح إلى الشكوى بألطف تخلص وأحسن حكاية بلا انفصال للمعنى الثاني عما قبله "

ففي هذا النص النقدي إشارة واضحة إلى ضرورة مراعاة وصل الكلام بعضه ببعض وتماسك أوله بتاليه .

ويقول أيضا (و أحسن الشعر ما ينتظم فيه القول انتظاما يتسق به أوله مع آخره على ما ينسقه قائله....يجب أن تكون القصيدة ككلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها نسجا وحسنا وفصاحة و جزالة ألفاظ حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إفراغا (....) تفضي كل كلمة إلى ما بعدها ، ويكون ما بعدها متعلقا بها مفتقرا إليها) .

وهذا النصان يكشفان بوضوح هذا الوعي بضرورة الاتساق و الانتظام ،و يظهر أيضا حين يميز ابن طباطبا بين نوعين من القصائد واصفا كل منهما بوصف يجلي فكرته عنه (فمن الأشعار أشعار محكمة متقنة أنيقة الألفاظ حكيمة المعاني عجيبة التأليف إذا نقضت وجعلت نثرا لم تبطل جودة معانيها ولم تفقد جزالة ألفاظها و منها أشعار مموهة مزخرفة عذبة تروق الأسماع و الأفهام إذا مرت صفحا ، فإذا حصلت و انتقدت بهرجت معانيها) و من ثمة يصف الأولى (كالقصور المشيدة و الأبنية الوثيقة)) و الثاني يكونه ((كالخيام الموتدة التي تزعزعها الرياح و يخشى عليها التقوض).

3)أبو علي الحاتمي :الاتساق النصي والوحدة العضوية

أما أبو علي الحاتمي فيقف على تمثيل رائد وسابق للقصيدة في تشبيهها بالجسد ويعتبر الاتساق النصي والانسجام مذهبا في كمال النصالفني وحسنه وهو إدراك كلي للنص يوضحه مانصه

((مثل القصيدة مثل الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض ،فمتى انفصل واحد عن الآخر وباينه في صحة التركيب غادر الجسم ذا عاهة ،تتخون محاسنه وتعفى معالمه ، وقد وجدت حذاق المتقدمين ,وأرباب الصناعة من المحدثين

www.elbassair.com

يحترسون في مثل هذه الحال احتراسا يجنبهم شوائب النقصان ويقف بهم على محجة الإحسان ,حتى يقع الاتصال ويؤمن الانفصال وتأتي القصيدة في تناسب صدورها وأعجازها وانتظام نسيبها بمديحها كالرسالة البليغة والخطبة الموجزة لا ينفصل جزء منها عن جزء .وهذا مذهب اختص به المحدثون لتوقد خواطرهم ولطف أفكارهم ,واعتماد البديع وأفانينه في أشعارهم، وكأنه مذهب سهلوا أجزائه ونهجوا دراسته)).

حازم القرطاجني : قواعد الاتساق وإحكام المباني

لعل حازم القرطاجني يمثل خطابا نوعيا في النقد البلاغي ، بحيث يمكن أن نصنف كتابه في ابستمولوجية المعرفة البلاغية والنقدية ، وهو في تحليله النظري العميق يستثمر معارفه الفلسفية وهو ما جعله يبحث في الوسائل والعلاقات التي تؤسس للاتساق النصي. يشير حازم إلى ما يسميه بتماسك الفصل ، ويقصد بالفصل أربعة أبيات تتضافر لأجل إيصال معنى معين ، وهو يبحث في قوانين يسميها "طرق العلم بإحكام مباني الفصول وتحسين الفصول وتحسين هيئاتها ووصل بعضها ببعض " ويمكن أن نميز في هذه القوانين حالتين :

الأولى تتعلق بالفصل وما ينبغي أن يسلك فيه وقد خصه بثلاثة قوانين .

الثانية تتعلق بما ينبغي أن نتبع في ترتيب الفصول بعضها إلى بعض.

كما أن القرطاجني لم يكتف بالاهتمام بالعلاقات بين أبيات الفصل الواحد ولا عند العلاقة بين الفصول ، وإنما تجاوز ذلك إلى بعض الشروط التي ينبغي أن تحترم في مطلع كل فصل وفي نهايته ويسميه بالتسويم والتحجيل ويقصد بالتسويم أن تتوافر في مبدأ الفصل وفي خاتمته أوصاف تلح على وجوب دلالة رأس الفصل على الفصل برمته وتعضيد نهايته لمعناه .

أما التحجيل أو البيت الذي يختم به الفصل (يحلى به ,حسب تعبير حازم)

"لا يخلو ...من أن يكون مترامیا إلى ما ترامت إليه جملة معاني الفصل ...أو يكون مترامیا إلى ما ترامى إليه بعضها "

فوظيفة التسويم إذن الإنباء عن غرض القصيدة وبمقصد المتكلم ووظيفة التحجيل تعزيز معنى أبيات الفصل بطريقة عقلية ، ويمكن أن نصنف تماسك القصيدة لدى ابن حازم إلى :

1)تماسك الفصل :

أ) أن يكون متماسك النسج .

ب) أن يكون نمط النظم مناسبا للغرض .

ج) تقديم الأهم فالمهم .

د) أن تكون بين أبياته علاقة اقتضاء كالسببية والمحاكاة والتفسير....إلخ..

2)تماسك الفصول :

أ)استمرار غرض الفصل السابق في اللاحق .

ب) أن تكون الفصول متصلة العبارة والغرض .

ج) أن تكون الفصول متصلة الغرض دون العبارة .

د) أن تكون الفصول متصلة العبارة دون الغرض.

3) العلاقة بين الفصول:

أ) الانتقال من الجزء إلى الكل أو العكس .

ب)أن يكون رأس الفصل دالا على بقية الفصل (بحيث تكون الأبيات التي تليه تنمية له ....)

ج) أن يكون آخر الفصل (أو القصيدة) استدلالا على ما تقدم منها.

فمن هذا الصنافة الدقيقة التي تجعل الناظر يعتبر القرطاجني أول ناقد عربي قدم وصفا مفصلا لكيفية تماسك النص الشعري، واستعمل مفهوما إجرائيا هو الفصل الذي يعتمد في تحديده على المعنى لا على الشكل تشبيها بما تصطلح عليه اللسانيات النصية بالمقطع النصي الذي يمثل الوحدة الأولى في النص .

3/مقاربة النص في علم التفسير وعلوم القرآن :

ليس غريبا أن يسم الباحثون في الفكر الإسلامي وبنية العقل العربي الحضارة العربية الإسلامية بحضارة النص (نصرأبو زيد ,محمد أركون ,محمد عابد الجابري) فقد تأسست التجربة التاريخية للإسلام على فعالية النص القرآني وتأثيره، كما انبثقت قطاعات معرفية كثيرة عن النص القرآني بشكل مباشر أو غير مباشر (النحو ,البلاغة ,علم الفقه ,علم أصول الفقه ,علم الكلام أو علم الاعتقاد ,علم التفسير وأصوله ,علوم القرآن ....)

ولذلك نلمح وعيا نصيا في المباحث المعرفية المختلفة حول النص القرآني سواء في المقاربات التأويلية (التفسير)أو في المعارف الوظيفية (علوم القرآن) ،ويمكننا أن نلحظ الاهتمام باتساق النص القرآني وانسجامه في مفاهيم التناسب وقوة النظم إلى حد أن كان موضوع مصنفات مستقلة في هذا المبحث مثل كتاب تناسق الدرر في تناسب السور ، أو هاجسا مركزيا ومنهجا في التأويل كما لدى البقعاني .

ونظن أن هذا الهاجس إنما كان محاول لتجاوز عقبة ابستمولوجية قد تمس بالمجال الديني العقدي ،وهي أن القرآن نزل منجما ثم رتبت آياته في المصحف الكريم ،وهذا الترتيب يقسم العلماء في محاولة تحديد مصادره إلى موقفين :

– موقف يرى أن الترتيب تم بتوقيف من الرسول.(الكرماني,وأبو بكر الأنباري والبيهقي وغيرهم)

– موقف يرى أن ترتيب السور تم باجتهاد الصحابة ، فالبحث في إثبات انسجام النص القرآني واتساقه بحث أملاه البعد الديني العقدي ,وهو في النهاية أنتج مقاربة نصية تتجاوز مباحث نحو الجملة إلى مباحث تحليل الخطاب والنص ,وظهرت في استخراج بعض الوسائل والعلاقات والآليات التي أسهمت في جعل النص القرآني آيات وسور كلا واحدا موحدا رغم اختلاف أوقات نزوله وأسبابه .وهذا الدافع هو الذي جعل مبحث المناسبة يتأسس علما مستقلا (علم المناسبة).

علم المناسبة : (المناسبة بين الآي والسور) الاتساق بين الآي والسور:

يشير الزركشي في "البرهان في علوم القرآن" إلى مقتطفات تدل على قدم الاهتمام بهذا العلم منها ما نصه (أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري وكان غزير العلم في الشريعة والأدب وكان يقول على الكرسي إذا قرئت عليه الآية :لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة ؟وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة "

كما تنبه أبو بكر بن العربي إلى أهميته العلمية "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة ,متسقة المعاني ,منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له إلا علم واحد عمل فيه سورة البقرة ،ثم فتح الله عزوجل لنا فيه ،فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه ،وجعلناه بيننا وبين الله ورددنا إليهً .

يقول الرزاي متنبها إلى ضرورة العناية بالاتساق في النص القرآني "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط "

....رؤية المفسرين والمصنفين في علوم القرآن في ثلاثة مستويات وصفية :

المستوى النحوي :

– العطف.

www.elbassair.com

– الإحالة.

– الإشارة.

2)المستوى المعجمي :

– التكرير ووظيفته.

– بناء السورة على حرف أو حروف .

3) المستوى الدلالي:

– موضوع الخطاب .

– تنظيم الخطاب.

– ترتيب الخطاب .

4) العلاقات :

– البيان والتفسير.

– الإجمال والتفصيل.

– العموم والخصوص .

وهذا يعني أن المفسرين والمصنفين في علوم القرآن اهتموا بالاتساق الذي يندرج تحته المستويان النحوي والمعجمي وبالانسجام الذي يندرج تحته المستوى الدلالي .

السيوطي : تناسب السور :

ألف السيوطي كتابا أسماه " تناسق الدرر في تناسب السور "

يتصور السيوطي القرآن نصا محكم البناء متلاحمه ، و هو نص يعتمد في ذلك على زرع مجموعة من العناصر في سورة معينة ، ثم تقع تنميتها (أو تنمية بعضها) في سورة لاحقة ، بل قد تكون سورة بأكملها تنمية للآية أو آيتين وردتا في سورة سابقة دون أن تخلو السورة اللاحقة بدورها من عناصر تنمى في سورة لاحقة ، كما أن العلاقة بين السور لا تسير في اتجاه واحد ، بل تسير في اتجاهين : الذهاب و الإياب.

و هذا الجدول يوضح علاقة الإجمال و التفصيل بين سورة الفاتحة و البقرة .

الفاتحة (الآيات المجملة)	الآيات التي تفصلها البقرة
الحمد لله رب العالمين الرحمان الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد (مجمل شامل لحميل أنواع الشريعة الفروعية)	286،186،152 29، 22 ،21 آ 52 ،54، 126 ، 163 ،286 ما وقع فيها من ذكر يوم القيامة 284 فصلت في البقرة : الطهارة ، الحيض ، الصلاة ، الاستقبال ، طهارة المكان .

www.elbassair.com

إياك نستعين (مجمل شامل لعلم الأخلاق اهدنا الصراط المستقيم	ذكر التوبة ، الصبر ، الشكر ، الرضا ، التفويض . آ 142 ، 213 ، 136 .

وهذا الجدول يظهر العلاقة بين عناصر السور و يجري تنميتها ، الإشارة + تعني – تنميتها

البقرة	آل عمران	النساء	المائدة	الأنعام
أ	ح	ل	ي+	ق+
ب	خ	ل	ت	غ+
ج	د	م	ث	ط+
د	ذ	ن	ط	ع+
هـ	ا +	ح +	ع	
و	ب +	هـ +	ل	
ي	.	.	ن+	
ع	.	.	و+	
ق	.	.	.	
.	.		.	
.				
.				